

روح المعاني

في دينهم وهو مبني على أن المراد بالبيوت المساكن أما لو أريد بها المساجد فلا يصح كما لا يخفى ولعل التوجيه على ذلك هو أنهم أمروا بالصلاة ليستعينوا ببركتها على مقصودهم فقد قال سبحانه : واستعينوا بالصبر والصلاة وهي في المساجد أفضل فتكون أرجى للنفع وبشر المؤمنين 87 بحصول مقصودهم وقيل : بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وإنما ثني الضمير أولا لأن التبوأ للقوم اتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع ثانيا لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل أحد مع أن في إدخال موسوهرين عليهما السلام مع القوم في الأمرين المذكورين ترغيبا لهم في الإمتثال ثم وحد ثالثا لأن بشارة الأمة وظيفه صاحب الشريعة وهي من الأعظم أسر وأوقع في النفس ووضع المؤمنين موضع القوم لمدهم بالإيمان وللإشعار بأنه المدار في التبشير وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة أي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها وتستعمل مصدرا وأموالا أنواعا كثيرة من المال كما يشعر به الجمع والتنوين وذكر ذلك بعد الزينة من ذكر العام بعد الخاص للشمول وقد يحمل على ما عداه بقرينة المقابلة وفسر بعضهم الزينة بالجمال وصحة البدن وطول القامة ونحوه في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك أي لكي يضلوا عنها وهو تعليل للإيتاء السابق والكلام إخبار من موسى عليه السلام بأن الله تعالى إنما أمدهم بالزينة والأموال إستدراجا ليزدادوا إثما وضلالة كما أخبر سبحانه عن أمثالهم بقوله سبحانه : إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وإلى كون اللام للتعليل ذهب الفراء والظاهر أنه حقيقة فيكون ذلك الضلال مراد الله تعالى ولا يلزم ما قاله المعترلة من أنه إذا كان كرادا يلزم أن يكونوا مطيعين به بناء على أن الإرادة أمر أو مستلزم له لما أنه قد تبين بطلان هذا المبنى في الكلام وقدر بعضهم حذرا من ذلك لئلا يضلوا كما قدر في شهدنا أن تقولوا شهدنا أن لا تقولوا ولا حاجة إليه وقيل : إن التعليل مجازي لأنهم لما ضلوا بسبب ذلك جعل إيتاؤه كأنه للضلال فيكون في اللام إستعارة تبعية وقال الأخفش : اللام للعاقبة فيكون ذلك إخبارا منه عليه السلام لممارسته لهم وتفرسه بهم أو لعلمهم بالوحي على ما قيل بأن عاقبة ذلك الإيتاء الضلال .

والفرق بين التعليل المجازي وهذا إن قلنا بأنه معنى مجازي أيضا أنفي التعليل ذكر ما هو سبب لكن لم يكن إيتاؤه لكونه سببا وفي لاملعاقبة لم يذكر سبب أصلا وهي كإستعارة أحد الضدين الآخر وقال ابن الأنباري : إنها للدعاء ولا مغمز على موسى عليه السلام في الدعاء عليهما بالضلال إما لأنه عليه السلام علم بالممارسة أو نحوها أنه كائن لا محالة فدعا به

وحاصله أنه دعاء بما لا يكون إلا ذلك فهو تصريح بما جرى قضاء الله تعالى به ونحوه لعن الله
تعالى الشيطان وإما لأنه ليس بدعاء حقيقة وليس النظر إلى تنجيز المسئول وعدمه بل النظر
إلى وصفهم بالعتو وإبلاء عذره عليه السلام في الدعوة فهو كناية إيمائية على هذا وما قيل :
هذا شهادة بسوء حالهم بطريق الكناية في الكناية لأن الضلال رديف الإضلال وهو منع اللطف فكني
بالضلال عن الأضلال والإضلال رديف كونهم كالمطبوع فكان هذا كشفاً وبياناً لحالهم بطريق
الكناية فهو على ما فيه شيء عنهنني لأن الطبع مصرح به بعد بل النظر ههنا إلى الزبدة
والخلاصة من هذالمطالب كلها ويشعر كلام الزمخشري بإختيار كونها للدعاء وفي الإنتصاف أنه
إعتزال أدق من ديبب النمل يكاد الإطلاع عليه يكون كشفاً والظاهر أنها للتعليل وقال صاحب
الفرائد لولا التعليل لم يتجه قوله : إنك آتيت فرعون وملاه زينة ولم ينتظم